المبحث السادس

صحائف الأعمال بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: صحائف الأعمال في التصور الإسلامي

في مشاهد يوم القيامة صحائف الأعمال، وهي من السمعيات التي وردت في القرآن الكريم، وأخبر عنها الرسول ﷺ. وصحائف الأعمال عبارة عن الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا [١]. وهذه الصحف هي التي سيحاسب الإنسان على أساس ما فيها من الأعمال، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. يقول صاحب المقاصد: «**من السمعيات تطاير الكتب، والدليل عليها قول الله تعالى**: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء :١٣] ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق :٧-٨] ويقول صاحب المواقف عن هذه الآية: «**قد ثبت بها قراءة الكتب**» [٢] ويذكر صاحب مطالع الأنظار أن سائر السمعيات - ومنها تطاير الكتب - الأصل في إثباتها أنها ممكنة في أنفسها، والله تعالى قادر على كل هذه الأشياء، والصادق أخبر عن وقوعها، فيكون هذا مفيدًا للعلم بوجودها، ويذهب الجويني إلى أن العقول لا تحيل شيئًا من هذه السمعيات، والدلالة ثابتة على القطع بالميزان والحوض والكتب التي يحاسب عليها الخلائق [٣].

والقرآن الكريم يذكر الصحف التي كتبت فيه الحسنات والسيئات للعبد في الدنيا

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٢ .

(٢) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٥٣ .

(٣) انظر مطالع الأنظار لأبي الثناء شمس الدين الأصفهاني ص ٤٦٤ والإرشاد للجويني ص ٣٧٩ .

بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء :٩٤] أي مثبوت في صحائف أعمالهم لا نغادر من ذلك شيئًا (١).

هذه الصحائف هي التي يعبر عنها القرآن في بعض الآيات بالكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف :٤٩] أي أن صحائف الأعمال وضعت إما في أيدي أصحابها يمينًا وشمالًا، وإما في الميزان، وهذه الصحائف لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا حوتها، ووجدوا ما عملوا حاضرًا، أي مسطورًا (٢)، والله لا يظلم أحدًا يوم القيامة لأن كل إنسان سوف يلزمه كتابه يوم القيامة، وهذا الكتاب مسطور فيه كل شيء فعله الإنسان من الحسنات والسيئات. يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء :١٣-١٤] والطائر هنا هو ما طار عنه من عمله من خير أو شرٍّ، وهو يُلزم به، ويُجازي عليه، كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما، والمقصود من الآية الكريمة أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلًا ونهارًا صباحًا ومساءً (٣). وصحف الأعمال التي يعبر عنها القرآن الكريم بالكتاب تسجل كل الأشياء على الإنسان، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق :١٨]، ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار :١٠-١٢].

وهذه الصحف يأخذها الإنسان بيمينه إن كان من الصالحين ويحاسب على أساسها حسابًا يسيرًا، ويأخذها الطالح بشماله، ويحاسب على أساسها حسابًا عسيرًا، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق :٧-٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا

(١) أبو السعود جـ ٣ ص ٥٣٥ .
(٢) أبو السعود جـ ٣ ص ٣٨٥، ٣٨٦ .
(٣) انظر ابن كثير جـ ٣ ص ٢٧ .

حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦] ، وهذه الصحف سوف تنشر يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير :١٠] ويقرأ كل إنسان صحيفته يوم القيامة، لا فرق بين الذي يعرف القراءة والذي لا يعرف، ومنهم من لم يقرأ صحيفته ذهولًا ودهشة، لاشتمالها على القبائح [١] وهذه الصحف حين تنشر لا يملك أحدٌ أن يقدم عذرًا أو يجادل عن نفسه. روى الإمام أحمد بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يعرَضُ الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال، ومعاذير، وأما الثالثة فعند تطاير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله** [٢] **والمراد أن الناس يدفعون عن أنفسهم، ويقولون لم يبلغنا الأنبياء، ويحاجون الله تعالى، ولكن عند تطاير الصحف يسكتُ الجميعُ، ويأخذ أهل السعادة صحفهم بأيمانهم، وأهل الشقاوة بشمائلهم** [٣].

ثانيًا: صحائف الأعمال في التصور النصراني

الثابت أن النصارى يعتقدون أن الحساب عن كل صغيرة وكبيرة، وعن الأقوال والأفعال ورد في قاموس الكتاب المقدس **«وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح، فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر، لكي يعطوا حسابًا عن أعمالهم في الجسد، خيرًا كانت أم شرًا** [٤] **. وهذه الأعمال التي يحاسب عليها النصارى - كما يعتقدون - مسجلةٌ في أسفار، لذلك فإن الدينونة عند النصارى ستكون بموجب أسفار** [٥]**، وهذه الأسفار هي التي وردت الإشارة إليها في سفر الرؤيا «ورأيت الأموات صغارًا وكبارًا واقفين أمام الله، وانفتحت أسفار، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة. ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم»** [٦]. فالنص في رؤيا يوحنا بين أن هناك أسفارًا فيها

---

(١) تحفة المريد ص ٢٢٤ .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٤ ص ٤١٤ .
(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي جـ ٧ ص ١١١، ١١٢ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٨٢.
(٥) دينونة البشر العامة ص ٥٢.
(٦) رؤيا يوحنا ٢٠: ١٢/١٣ .

الأعمال الخيِّرة والشريرة، يحاسبون على أساسها، ويعتقد النصارى أن «**أول أسفار الدينونة الكتاب المقدس كما قال السيد المسيح: الكلام الذي تكلمت به هو يدينك في اليوم الأخير**» [١] ويفسرُ صاحب الكنز الجليل نص يوحنا. بأن كلام الإنسان هو الذي يدينه يوم القيامة. ويستدرك المفسر بقوله: «**وهذا لا ينفي أن المسيح لا يدينه، إنما يبين أن الدينونة لا تكون على الهوى، بل بمقتضى الكلام الذي تكلم به المسيح سابقًا، وتسليم المحكوم عليه بأنه سمعه فيقابل سيرته به، ويدين نفسه، ويشهد بعدل الله الديّان، وأنزل الكلام هنا بمنزلة شخص يشهد ويقضي، ويكون هو وضمير الخاطئ على وفاق في الحكم على الخاطئ، لرفضه المسيح، فيصمت ولا يفوه بكلمة** [٢]. **والذي يفهم من كلام المفسر أن كلام الإنجيل سيكون حجة على النصارى يوم القيامة، لأن سيسلم بأنه قد سمعه، ويطابق كلام الإنجيل مع ضمير الخاطئ، في أنه رفض تعاليم المسيح، وهذا حجة عليه، والسفر الثاني هو الضمير** [٣]. **وردَ في أعمال الرسل «لذلك أنا أيضًا أدرب نفسي، ليكون لي ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس»** [٤].

والنص الذي أمامنا يفسره صاحب الكنز الجليل بقوله: «**الذي له ضمير بلا عثرة هو الذي لا يفعل شيئًا مخالفًا لحكم الضمير، لأن الضمير السيء سيحاسب الإنسان عليه**» [٥] والشيء الأساسي الذي يسجل على الإنسان في اعتقاد النصارى الكلام. ورد في متى «**كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابًا يوم الدين لأنك بكلامك تبرر، وبكلامك تدان**» [٦]. يقول مفسر الإنجيل: «**إن كلام الناس دليل واضح على صفاته، فذلك كان من جملة ما يحاسب الله عليه يوم الدين، كما أفاد المسيح خلافًا لزعم الأكثرين، بأنه لا حساب على الكلام؛ إذ لا طائل تحته. والكلام الذي يقصده المسيح الغير نافع عمومًا، وليس معنى أن الحساب مقصور على الكلام بدون نظر إلى الأعمال. بل المراد أن الكلام من جملة ما يحاسب عليه الإنسان**» [٧].

(١) يوحنا ١٢ - ٤٨، دينونة البشر العامة ص ٥٢ .
(٢) الكنز الجليل جـ ٣ ص ٢١٥، ٢١٦ .
(٣) دينونة البشر العامة ص ٥٢، ٥٣.
(٤) أعمال الرسول ١٦/٢٤ .
(٥) الكنز الجليل جـ ٤ ص ٣١٥ .
(٦) متى: ١٢: ٣٨/٣٧ .
(٧) انظر الكنز الجليل بتصرف جـ ١ ص ١٩٧، ١٩٨ .

ثالثًا: صحائف الأعمال في التصور اليهودي

يعتقد اليهود في الحساب يوم القيامة، وهذا الحساب يتم على أساس ما قدمه الإنسان من خير أو شر، وهذا الحساب سيكون بموجب أسفار، ورد في دانيال في إحدى رؤاه. «**كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار، نار جرى وخرج من قدامه ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه، فجلس الدَّيْن وفتحت الأسفار**» [(١)].

وورد في المشنة الأولى - أي المتن الذي يكوّن شرحها التلمود- «**ربى قال: ما هي الطريق القويمة التي يجدر بالإنسان اختيارها؟ هي تلك التي تمجد سالكها، وترفع مقامه بين الناس. احرص على الفرض الخفيف حرصك على الفرض الثقيل، لأنك لا تعلم قيمة أجر الفروض، واحسب خسارة الفرض بجانب أجره وملذة المعصية بجانب قصاصها. تأمل في ثلاثة أمور فلا تصل إلى المعصية: اعلم ما فوقك، عين ترى، وأذن تسمع، وكل أعمالك محصية في سفر**» [(٢)] وفي شرح هذه المشنة ورد «**وكل أعمالك محصية في سفر. قد جسم بعضُهم هذه الفكرة لدرجة أنه قال: إن روح الإنسان تصعد في كل مساء أمام عرش الديان، تكتب بيمينها ما تكون قد اقترفت أو أحسنت في يومها، وتغالى بعضهم فقال: إن كل معصية يرتكبها الإنسان في دنياه توجد شيطانًا، يصعد أمام كرسي الديان، ويهتف دائمًا: أنا خلقت من معصية فلان ابن فلان الذي ارتكبها في اليوم الفلاني**» [(٣)] ونص المشناة وشرحها بيَّن أن الأعمال التي يفعلها الإنسان تسجل عليه كل يوم في سفر إلى أن تأتي يوم القيامة فتشهد عليه هذه الأعمال. وهناك اعتقاد ورد في التلمود بأن روح الإنسان تصعد في وقت نومه إلى السماء، وتكتب أعمالها اليومية خيرها وشرها، لتحاسب عليها بعد الوفاة [(٤)]. وسعديا الفيومي في الأمانات والاعتقادات يقول: «**إن لله كتبًا ودواوين، محفوظ فيها أعمال الصالحين والطالحين**» [(٥)].

---

(١) دانيال ٧: ٩/١١ .
(٢) التلمود أصله وتسلسله ص ٩٠ .
(٣) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠، ٩١ .
(٤) نفسه ص ٩٠ .
(٥) الأمانات والاعتقادات ص ٢١٦ .

وورد في أسفار الأنبياء ما يستنبط منه أن الكلام مسجل على الإنسان، وسيحاسب عليه يوم القيامة. ورد في سفر الأمثال «**الموت والحياة في يد اللسان، وأحباؤه يأكلون ثمره**» [١]. وورد في المزامير «**لأنه ليس كلمة في لساني إلا وأنت يا رب عرفتها كلها**» [٢] وورد في المزامير أيضًا «**اجعل يا رب حارسًا لفمي احفظ باب شفتي**» [٣] وهذه الأقوال يستنبط منها أن الكلام الذي يتحدث به الإنسان يعلمه الله، وهو مسجل عليه، وسيحاسب عليه يوم القيامة.

تعقيب على صحائف الأعمال بين الإسلام والنصرانية واليهودية:

بعد عرضنا لصحائف الأعمال بين الأديان الثلاثة يمكن أن نخرج بالنتائج التالية:

أولاً: أن الإسلام يتفق مع النصرانية واليهودية في أن أعمال الإنسان وأقواله تسجل عليه، ليحاسب عليها يوم القيامة.

ثانيًا: أن الحساب يوم القيامة سيكون بموجب تلك الصحائف التي سجلت فيها أقوال الإنسان وأعماله، وأن الإنسان سيكون شهيدًا على نفسه بأنه فعل وقال.

ثالثًا: أن هناك جزئيات اختص بها التصور الإسلامي مثل أخذ الإنسان الصالح صحيفته بيمينه وأخذ الطالح صحيفته بشماله.

وهذه الجزئية غير واردة في التصور النصراني واليهودي.

وأيضًا نجد في التصور اليهودي صعود الروح وقت النوم، لتسجل أعمالها وأقوالها اليومية.

وهذه الجزئية غير واردة في التصور الإسلامي، الذي يبين أن كل إنسان موكل به ملكان لتسجيل كل شيء عليه. يقول تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق :١٨].

---

(١) أمثال ١٨ - ٢١ .

(٢) المزامير ٤/١٣٨ .

(٣) المزامير ٣/١٤١ .

وهذه الجزئية أيضًا غير واردة في التصور النصراني.

وبالجملة فإن الأصل الذي تستند إليه صحائف الأعمال موجود في التصور الإسلامي والتصور النصراني، مع الاختلاف في بعض الجزئيات التي وردت عند المسلمين والنصارى واليهود.

* * *